

الدكتورة أحلام بيضون

الجامعة اللبنانية - كلية الحقوق والعلوم السياسية والإدارية

الفرع الثاني- جلّ الذيب

٠١٥٥٧٩٨٥-٠٣٢١٠١٣٨

ahlambey@ul.edu.lb

ليد الدكتور محمود القرقي المحترم

الجامعة العربية-بيروت

٣٣٠٤-٠٧٩٨٥٠٧٠

fkork@yahoo.com

د. أحلام بيضون: دكتوراة في القانون الدولي، الرتبة الأكاديمية أستاذ (professeur)
(agree)

التدريس الجامعي: من المحاضرة إلى الإمتحان

الجامعة هي المختبر الذي يخرج النخب المسؤولة عن قيادة المجتمع في مختلف ميادين الحياة. لذلك يجب أن ترصد للتعليم الجامعي كل الأموال والكفاءات اللازمة لبناء هذه النخب.

والتعليم في الجامعة يتشابه من جهة مع التعليم المدرسي، غير أن له أيضا خصوصيته.

من ناحية التشابه، هو يكمن في الغاية التربوية وهي تتمثل في إيصال المعلومات المقررة إلى فهم الطالب خلال العام الدراسي، واختبار استيعابه لتلك المعلومات في نهاية العام أو الفصل. يتوقف تحقيق هذه الغاية على منهجية التعليم وطريقة إجراء الأمتحانات. (أسلوب التعليم ١، ومضمونه ٢، وطريقة إجراء الإمتحان ٣)

أولاً: منهجية التعليم:

تشمل منهجية التعليم مضمون المادة التعليمية المقررة، كما تشمل الأسلوب الذي يتبعه الأستاذ الجامعي.

١- في مضمون المادة: يدارى على مستوى المضمون: الموضوعية، الإختصاص، وما يثير إهتمام الطالب، أي عنصر التشويق.

أ- الموضوعية: محاولة الأستاذ قدر الإمكان إعطاء المادة دون أن يكون متأثراً بآرائه الشخصية. والمألة تحصل تحديدا في المواد السياسية والحقوقية والإنسانية بشكل عام، والتي تثير إشكالا وتنتج آراء مختلفة. ولا يعني ذلك تخلي الأستاذ عن التعبير عن رأيه، بل بالعكس يجب أن يعطي الأستاذ رأيه الشخصي بشكل واضح، ومتين ومقنع. إن المقصود هنا أن

يستطيع الأستاذ، وبالتالي الطالب من التفريق بين الصلب المادة، وبين الآراء المختلفة حولها، بما فيها رأي الأستاذ ذاته، مما يثري المادة دون أن يشوه مضمونها.

ب- التشويق: أن تدرس المادة بشكل يستثير اهتمام الطالب، ويشوقه للمتابعة ومعرفة المزيد. هذا يقتضي الابتعاد قدر الإمكان عن النظريات الجافة، العقيمة، التي لا طائل منها، وعن السرد التاريخي، والتركيز على عمق المادة، وكيفية الاستفادة منها عمليا، أي يتم التركيز على النقاط والمواضيع التي تبين فائدة المادة وارتباطها بالحياة اليومية البشرية أو الطبيعية، ومدى تأثيرها على مصير الإنسان أو مصادر عيشه ورفاهه، أو بيئته، أو اهتماماته الإبداعية أو مواهبه.

ج- الإختصاص: أن يتم تعليم المادة مع مراعاة نوع الإختصاص. يتعلق ذلك بالمواد التي يدخل تعليمها في عدة فروع كبعض مواد القانون، أو الإقتصاد. فإذا أخذنا مثلا هذه المادة الأخيرة، يختلف تعليمها حين تشكل أحد أرصدة إجازة الحقوق، حيث يجب التركيز على الأوجه القانونية للمادة؛ أما إذا كانت أحد أرصدة العلوم السياسية فيتم التركيز على مدى تأثير الإقتصاد بالسياسات المتبعة من قبل الدولة؛ وإذا شكلت أحد أرصدة العلوم الإجتماعية، سيتم التركيز على علاقة الإقتصاد بالأوضاع الإجتماعية وتأثير الفرد بحالته الإقتصادية؛ أما في إجازة الإقتصاد فيتم تعليم المادة بشكل موسع بحيث لا تترك شاردة أو واردة إلا ويزود بها الطالب.

إن الغاية من ذلك تجنب حشو رأس الطالب بمعلومات لا فائدة منها لإختصاصه. مع الإشارة إلى أنه لا يجوز رغم ذلك المس بالمضامين الأساسية للمادة. فنكون والحالة كذلك توسعنا في تدريس مادة الإقتصاد في إجازة الإقتصاد، بينما نركز في إجازة الحقوق على القواعد والإتفاقيات والقوانين التي ترعى العلاقات الإقتصادية والبنوك والبنك المركزي. في العلوم الأساسية يتم التركيز على علاقة الإقتصاد بالمشاريع التي تضعها الدولة وانعكاس ذلك على الأوضاع المالية، وما ينتج من مضاربات وتضخم وانكماش، وكيف يتجلى بأزمات إقتصادية؛ أخيرا في الإدارة يتم التركيز على مفهوم إدارة المشاريع الإقتصادية والشركات. هكذا إلى نهاية المطاف، حيث يمكن أن تأخذ نفس المادة عناوين مختلفة متأثرة بشهادة الإختصاص.

لا بد في هذا السياق من الإشارة أن التركيز على ناحية الإختصاص تطال أيضا الأساتذة، إذا يكون الأستاذ أكثر حرية وأكثر اطلاعا، وأكثر قدرة على تعليم مادة اختصاصه، وإن كان ذلك لا يعني أن الأستاذ ليس بإمكانه تعليم مواد أخرى قريبة على اختصاصه الأصلي. أن الوضع القائم في الجامعة اللبنانية يشكو من أزمة في هذا الخصوص، حيث أن توزيع المواد يأخذ بعين الاعتبار رغبات الأساتذة أكثر من احتمال عدم إفادة الطلاب، إذ نادرا ما نجد أستاذا يعطي مادة اختصاصه.

٢- **في الكيفية أو أسلوب التعليم:** إذا كان التدريس يعني إيصال المعلومة إلى الطالب، فمن المفترض أن يتم اتباع الأسلوب الذي يظهر أنه الأجدى في نقل المعلومة وإفهامها وتكريسها في ذهن الطالب.

بناء على ذلك لا بد من التركيز على مصادر المعلومات لكل مادة. ونجدها:

أ- **في مراجع مختلفة،** بلغات يتقنها الطلاب، يتم انتقاء أكثرها دقة وعمقا ووضوحا. الغاية منها تثقيفية بحيث يسمح ذلك للطلاب أن يقارن بين مختلف الآراء فيما يتعلق بمضمون المادة، واستخلاص المعلومات التي تجمع الآراء عليها.

ب- **المحاضرات** التي يعطيها أستاذ المادة، الغاية منها توجيهية أكثر منها تلقينية. يتم التمهيد لها بتصميم واضح، بحيث يتمكن الطالب من معرفة العناوين الرئيسية التي ستأطر عملية البحث والمطالعة لديه. يجب أن تتصف المحاضرات بالموضوعية، وهذا لا يعني أن لا يعطي الأستاذ رأيه خاصة في المواد التي يتسع فيها المجال لذلك، كما في المواد السياسية والحقوقية، والإدارية، ومختلف العلوم الإنسانية. غير أن ذلك يقتضي أن يعلن الأستاذ رأيه بدقة حتى لا يلتبس الأمر على الطالب. وتكون المحاضرات بذلك مرجعا كبقية المراجع.

من الأجدى أن تتميز المحاضرات بالإيجاز، مما يمكن الطلاب من إيجاد الوقت الكافي للإطلاع على مراجع أخرى للمادة وعلى إنجاز الأبحاث الشخصية حول المادة، والتي تشكل المصدر الثالث للمادة التعليمية.

ج- **الأبحاث:** الغاية الرئيسية منها إبداعية، لكونها تكون عمل الطالب الشخصي القائم على جهده الخاص واستنتاجاته الخاصة. أما فوائدها فهي من ناحية تعليمية، ومن ناحية ثانية اختبارية أو فحصية.

أما أنها تعليمية، فينتج ذلك عن البحث الدائم للطلاب في المراجع المختلفة مما يرسخ المعلومات في ذهنه، ويوسع ثقافته فيما يتعلق بالمادة.

وهي فحصية أو اختبارية كونها تمكن الأستاذ من متابعة نشاط الطالب بشكل مستمر، خاصة في ظل أنظمة الامتحانات الشاملة في آخر العام، كما هي الحال حتى يومنا هذا في كليات الحقوق والعلوم السياسية والإدارية.

والأبحاث هي عبارة عن نص مكتوب حول أحد عناوين المادة التعليمية، يقدمه الطالب في وقت محدد عادة بعد رأس السنة، كي يكون لدى الطلاب الوقت الكافي للتحضير. يقدم البحث مكتوبا، كما يقدم شفويا بشكل مختصر وتتم مناقشته في الصف، حيث يأخذ الطالب موقع الأستاذ.

إن الأسلوب البحثي يقوي شخصية الطالب وثقته بنفسه، ويمكن الأستاذ من معرفة مستوى الطالب كتابيا، وشفاهيا، حيث يتوجب على الطالب إظهار قدرته على إنجاز بحثه خلال عشر

دقائق محاولاً قدر المستطاع التخلي عن الورقة المكتوبة. كما تعطى الفرصة له للإجابة على أسئلة رفاقه. يتسنى لهؤلاء الأستماع إلى شرح جديد للموضوع والنقاش داخل القاعة، وتبادل الآراء.

تعطى الأبحاث في أول السنة الجامعية، منذ المحاضرة الثانية، بحيث تغطي الأبحاث كامل المادة، ومختلف الأسئلة حول إشكالياتها. يسمي الأستاذ قدر المستطاع مصادر على المادة، ويوجه الطلاب إلى المراكز والمكتبات ومواقع الأنترنت التي يجدون فيها مصادرهم. كما يضطر الأستاذ أحياناً، أن يشرح للطلاب كيفية القيام بإنجاز بحث، بدأ بالبحث عن المراجع، مروراً بتجميع المعلومات وانتهاء بوضع خطة البحث وإنجازه.

تصاغ العناوين بحيث يتمكن الطالب من الإستنتاج والفهم والإعتماد على قدراته الخاصة في كتابة البحث، بحيث لا يأتي البحث المذكور تكراراً لما قاله الأستاذ أو لما يجده في المراجع المختلفة.

الفائدة الأخيرة من البحث تكمن في تعويد الطلاب على التعاون والعمل الجماعي.

لقد تبين لنا أن أسلوب التعليم البحثي على مستوى الجامعة، وربما على مستوى غيرها من مراحل التعليم، هي من أنجح الوسائل. وتتمثل فائدتها فيما يلي:

* تمكن الطالب من التعمق في المادة وفهمها وحفظها. فهي تدفعه للقراءة المتواصلة والتحضير بحيث تخلق عنده نوعاً من العادة على القراءة.

* تمكنه من أن يكون موضوعياً، فبشكل عام بقدر ما تتسع ثقافة الشخص بقدر ما يصبح أكثر موضوعية.

* تمكن الطلاب من التفاعل والنقاش فيما بينهم، والتعاون والإستفادة من بعضهم البعض لجهة فهم المادة، والكتابة فيها، وتقديمها أو المحاضرة فيها. وتخلق لديهم الثقة بالنفس، والخبرة.

* تمكن الأستاذ من أن يظهر حياده فيما يتعلق بالمادة، خاصة في المواد التي يغلب عليها الطابع السياسي.

* وتمكنه من المتابعة المستمرة لنشاط الطلاب واجتهادهم، وتعطيه فكرة صحيحة عن قدراتهم، تمكنه من تقدير مستواهم على مختلف وجوهه من خلال الجمع بين الإختبار الكتابي والشفهي.

ثانياً- في أسئلة الإمتحان وتصحيحها:

إن إتقان الأستاذ لكيفية إيصال المعلومة للطالب لا يكفي لكي نؤمن نجاحه وتجاوزه الإمتحانات. إذ لا بد من العناية أيضاً بالكيفية التي تجري فيها الإمتحانات. وهذه العناية تتكثف على مستوى الأسئلة والتصحيح.

١- الأسئلة:

يجب أن تكون الأسئلة:

أ- بعيدة عن التعقيد بحيث يسهل على الطالب فهم ما هو مطلوب منه الإجابة عليه.
ب- يجب أن يصاغ الموضوع باختصار بحيث لا يأخذ من وقت إجابة الطالب. إننا أسئلة تتجاوز الصفحات الثلاث عند بعض الأساتذة.

ج- أن تكون شاملة بحيث تصاغ على شكل موضوع بحثي يشمك كل جوانب المادة، ويتم تجنب الأسئلة الصغيرة التي تصاغ على شكل "حزازير". وفائدة السؤال الشامل أنه يمنع الطلاب من دراسة قسم من المحاضرات على أمل أن يطرح السؤال منه، ويبعد الطالب عن الإتكال على الترجمات.

د- يجب أن يطرح موضوع واحد، لما في ذلك من فائدة، فهو يوفر المساواة بين الطلاب، ويجنب الطالب إضاعة الوقت في التردد بين أي الموضوعين أو المواضيع سيعالج.

هـ- يطلب أن يكون الجواب مختصرا وتبعاً لتصميم علمي، وهذا يقود الطالب لأن يتعمق بالمادة ويفهمها، ويتجنب عملية الحفظ أو "البصم" دون فهم.

و- إن الصيغة التي يطرح بها السؤال، أي الشمول والإختصار، يقود الطالب إلى الإعتماد على نفسه في إعادة صياغة المعلومات التي فهمها واستوعبها بطريقته الخاصة، فيخرجها بحلة جديدة تحمل بصمته الشخصية. وهذا ما يسمى الإبداع، حيث نكون أمام مجموعة من المعالجات المختلفة لنفس الموضوع ولنفس المعلومات.

ز- إن طريقة طرح الأسئلة المذكورة تمنع عملية الغش، إذ لا يستطيع الطلاب نقل المعلومات عن بعضهم، ولا نقلها عن "روشتات" أو كتاب. هم الطالب يكون منصبا لمعرفة كيفية الإجابة الشاملة بشكل مختصر، ولا وقت لديه لإضاعته.

٢- التصحيح والنتائج:

أ- يتجانس التصحيح مع أسلوب التعليم والسؤال، فيتم التقييم على أساس فهم الطالب للمادة ومدى ما استوعب من معلومات، وعلى كيفية تقديم ما يعرف بشكل منسق مترابط، يظهر مدى قدرته على الإنتاج العلمي الشخصي. كذلك على مدى قدرته على التحليل والمقارنة والإيجاز.

ب- بالنسبة للمواد التي تعلم بلغة أجنبية، يجب أن يدرك الأستاذ أنه إنما يفحص الطالب في مادة الإختصاص وليس في مادة اللغة، وإن كان ضعفه في اللغة سيأثر ذلك بطبيعة الحال على مستوى مسابقته.

ج- إن تقييم المستوى العلمي للطلاب يجب أن يأخذ بعين الاعتبار ليس فقط المسابقة إنما أيضا مستوى إدائه الشفهي والبحثي المكتوب الذي حصل خلال العام. إن البحث يغني عن الإمتحانات الفصلية، وهذا من شأنه أن يوفر في الوقت.

د- إن النتائج التي حصلنا عليها طوال مدة التعليم أي منذ العام ١٩٩٣ وحتى اليوم، قد أثبتت لنا بما لا يقبل الشك صحة الطريقة التي تم اتباعها في مواد مختلفة: أنظمة سياسية، مواد إقتصادية، دولة حديثة، علاقات دبلوماسية، قانون دولي عام بالفرنسية، وقانون دولي خاص.

إن نجاعة الأسلوب تمثلت:

- في عمق التحليل ومستوى الإجابة لدى الطلاب.

- بمستوى النجاح حيث تجاوز في بعض الدورات ٩٥%، ويمكن العودة إلى محاضر العلامات في الكلية والمسابقات للثبوت من صحة هذا القول.

- بالفارق الهائل بين مستوى العلامات في المواد التي ندرسها ومستواها في مواد أخرى لدى نفس الطلاب.

- بالفارق بين مستوى النجاح العام في المواد التي ندرسها ومستوى الرسوب لدى بعض الأساتذة الزملاء، بما يعكس النتيجة، حيث لا ينجح أكثر من ١٥% أو ٢٠% أحيانا في بعض المواد.

- طبعا لا يعود ذلك لا سمح الله إلى تدني مستوى التعليم لدى بعض الزملاء، بل يعود إلى الأسلوب الذي تم اتباعه من قبلهم في إيصال المعلومة، وفي طرح الأسئلة، وفي التصحيح. فقد أدهشني مثلا البعض حين رأيتهم يطلبون من طلاب علوم سياسية بأن يجيبوا على أسئلة صغيرة بنعم أو لا. ومعلوم أن هذا الأسلوب الأنكلو- سكسوني يتبع في المدارس الابتدائية، وفي الكليات في المواد العلمية، فيما يتعلق بتركييب كيميائية أو أسماء أدوية، أو غير ذلك.

- يعود التدني بالمستوى أيضا، إلى عدم إسناد مواد التدريس إلى الأساتذة مع مراعاة نوع الاختصاص، فلا شك أن الأستاذ بإمكانه أن يعلم مادة إختصاصه بسهولة وبجودة أكبر من أن يعلم مادة أخرى، وإن يقوم بذلك إذا طلب منه.

- إن عدم التركيز على الأسلوب التربوي من قبل بعض الزملاء يعود إلى كون البعض قد عاد حاملا شهادة الدكتوراة في اختصاص معين، دون أن يكون قد مارس سابقا التعليم. ودون أن يكون قد مرّ بدورة تعليمية، أو أن يكون قد حصل على شهادة تعليمية. وإننا والحال كذلك، نعيد الفضل فيما تمكنا من إنجازه إلى الشهادة التعليمية التي كان لنا فرصة نيلها. فمن خلالها عرفنا الطرق التربوية، والتركيز على عنصر التشويق لدى الطالب، وعلى عنصر الإنتاج الشخصي، والمتابعة، وتمكنا من أخذ سلوك الطالب الإجتماعي والنفسي بعين الاعتبار.

خلاصة:

خلاصة القول أن الغاية من التحصيل الجامعي هي في الدرجة الأولى تمكين الطالب من الحصول على شهادة تمكنه من الولوج إلى سوق العمل. يعني أنه سيستخدم اختصاصه في مجال عمله. إذن هو بحاجة إلى أن يستوعب المواد التدريسية ويفهمها عن طريق جعلها حسية وتطبيقها ميدانيا. هو يركز إذا على قاعدة واسعة من المعلومات في مجال اختصاصه يوظفها في إنتاجه المميز وإبداعه الشخصي.

إن الأسلوب التعليمي البحثي قد أبعدنا وأبعد الطلاب عن الأسلوب التلقيني، أو ديكتاتورية التعليم والمعلومات، حيث لا يمكن للطلاب أن يتحرر من محاضرات الأستاذ أو الكتاب. ونكون في النتيجة قد ساعدنا في استنباط مخارج الإبداع الشخصية عند كل طالب على حدا. هذا الأسلوب يساعد طلاب الجامعات الذين هم قوام المجتمعات في المستقبل القريب والبعيد على إدارة الشؤون العامة من مختلف جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والحقوقية والسياسية والعلمية، بشكل إبتكاري، فيه من الإبداع الشخصي ما يساعد على تكوين مجتمعات متميزة، نامية، وراقية، تتمتع بالثقة والإعتماد على النفس. وتستغل ثرواتها بنفسها وتعرف كيف تتعامل مع الآخر بلغته وبأسلوبه، كي تفهمه كيف أن الحقوق الشخصية تقف حين تبدأ حقوق الآخرين. وتبني العلاقات مع الغير على أساس التعاون المتوازن. وتميز في الداخل بين ما هو عام وما هو خاص. وتعرف ما تعني الإدارة العامة وتولي السلطة، وأن الحكام تنتهي صلاحيتهم حين تنتهي مهمتهم أو فائدتهم لمجتمعاتهم.

- سنرفق مع هذه الورقة نماذج عن مسابقات لبعض الطلاب.

- كما أنه كان لنا رأي في المناهج والبرامج الجامعية، وقدمنا مشروعا بذلك، ولعل أبرز ما ورد فيه إعطاء فرص نجاح للطلاب، عن طريق إيجاد خيارات لهم، حين يتبين عدم قدرتهم المتابعة في اختصاص معين. مثلا، طالب الحقوق وخيار الانتقال إلى مجالات تخصص قريبة، كالإقتصاد أو السياسة... أو إمكانية انتقاله إلى شهادة في نفس الاختصاص تخوله الدخول إلى مهنة أو وظيفة معينة، كشهادة تخوله الترشح لشغل مركز مختار، أو مستكتب، أو مترجم قانوني... إن هذه الطريقة تمكن من تخريج أشخاص ذوي اختصاص وكفاءة للقيام بمهام عامة، يقوم بها حتى اليوم أشخاص غير متعلمين، أو ذوي مستوى تعليمي بسيط، مما يفسح في المجال للواسطة وللحسوبيات بالظهور.